

الدال والاستبدال

لا يقبلون بالذهاب وبالضياع بل إنهم يستغلون فرص القول المتاحة لهم لفرض التركيز على إشعاعهم الشخصي . بل قد تذهب بهم العجرفة وحب الظهور إلى استبدال مقولات الآخر بمقولاتهم .

وسؤال جاك دريدا يبقى دائماً مطروحاً : أية استراتيجية ، يمكن لنا أن نتوخاها حتى نفشل الخطاب ونعوق ما يرتد به إلى ذاته . فنفرض عليه اختراق تخومه والقبول بمقولات الآخر . ؟ غير أن تمثل الخطاب المتطابق مع ذاته ، المرتد دوماً نحو مقولاته أمر واجب ، ومهمة لازمة . فذلك من مستلزمات القراءة الرهينة المتأنية التي لا تحجم عن مغادرة موقعها أو خسرتها له . فالقراءة التي تحمي جسد اللغة المهترء القديم ، تشكل مغامرة خطيرة . إن القراءة المتأنية ، هي القراءة التي تقوض مقولات الخطاب المتطابق مع ذاته ومع مقتضياته وذلك لتدفع به إلى مناطق صمته حيث يصعب لديه ، هناك إصدار أحكامه وفرض إجراءاته التي لا تخرج عن ثنائية : الخير / الشر . الخارج / الداخل . الايجاب / السلب . الصحة / الخطأ . القبيح / الجميل . هذه القراءة المعتمدة تهدم بنية الخطاب العمودية / السلطوية / المراتبية . إنها تقوض أمنه المعرفي وسلطته وتفرض عليه ولوج المناطق التي يقيم عندها المتصوفة . إنما إفسال لمنطق التعارض التبسيطي . وهي ترصد كل أثر للرجبة يروم التثبيت بالأبعاد الميتافيزيقية في النص .

ففي كل كائن معروف ، حسب جاك دريدا ، كائن غريب عنه . وفي كل كائن غريب ، كائن معروف . وللغريب أن ينفذ إلى مألوف الخطاب فيفجر ويستقر فيه فيألفه . ذلك عكس ، قانون النفي الهيجلي الذي يفضي دائماً إلى التطابق مع ذاته عبر النسق الجدلي المعروف فلا يتجاوز انغلاقه ، المتمثل في المعنى والقانون والاطلاقية . فالقراءة المتأنية ، المتمهلة ، تززع المقولات عن مواقعها وتفيض على حدود الخطاب الفلسفي الكلاسيكي وقراءته المعهودة ، بل إن هذه القراءة لا تقول شيئاً ، تلك التي تعتمد استراتيجية الاختلاف ، فهي تكتفي بالإشارة إلى ما يتجاوز حدود النص . إنها لا تختزله بل تنبه إلى هذا الفائض الذي لا يستوعبه إدراك أو يشمله نسق . والقراءة إذ